أسرار الشـــعراء

للأستاذ صلاح الدين المنجد

[تتمة ما نشر في العدد الماضي]

ولنقرأ الآن صفحة أشد متعة ، تتعلق بأمر ذي شأن عند الأديب ؛ ذلك هو النقد ، نقد آثاره بنفسه ، ونقد الناس آثاره . والأدباء في هـذا الأمر مختلفون متباينون . فهذا تهيجه الكلمة الواحدة فيثور لأخف نقد ولا يرضى عنه ، وذاك لا يثور ولا يحفل بما قيل . وهؤلاء أناس يستقبلون أروع الآثار بنقد لا نقد فيه ، وأولئك يستقبلون أهون الكتب بمدح وتقريظ . وكلٌ يكتب عن هوى في نفسه أو غرض لديه فيسف ولا يعلو . ويتجنى ولا يقدّر ، كل ذلك لغرضه وحاجته . وقديماً قال الصوفيون « المرض في الغرض » .

اسمع النقد الذي استقبلت به قصيدة كيتز السماة « آندميون» Endymion أروع قصيدة لهذا الشاعر ، التي يقولون إنها تحوي أبياتا فرائد من الشعر الانكليزي .

لقد كتب ناقد مجلة Quarterly Revieu يقول : لقد سرق هذا الشاعر أفكار السيد هنت hunt (وهو صحافي وشاعر معروف) وادّعاها لنفسه . ولكنه كان أشد غموضاً منه ، وهو جامد الطبع ينحت من صخر ... »

فما ذا أبقى هذا الشاعر لكيتز ؟ سرّاق أفكار ، وجامد الطبع ينحت من صخر ! لم يبق له شيئا إذ ذاك . ولكن الناقد يمضي وعضي معه غرضه الذي دفعه إلى هذا النقد النث ، وتبقى القصيدة وحدها خالدة لروعتها وعظمتها .

وحين أصدر الشاعر الأميركي « ويتمن » ديوانه الخالد « أوراق العشب » قال النقدة عنه إنه مشابه كلام العوام ، مفعم بالحماقات ؛ وتطاول آخرون فقالوا ماليس يُقال .

على أن هذه النقدات ما أثرت في الشاعر ولا أبهَ لها . وظلّ يعمل حتى أدرك الثالثة والسبعين من عمره . أما كيتز المسكين ، فقد مات في السادسة والعشرين ، وكان من سبب موته يأسه الشديد حين قرأ ذلك النقد السخيف .

شتان بين هذين الشاعرين ! لقد أعرض ويتمن عما قالوه لأنه ليس من النقد في شيء ، ولأن النقد غير السباب والتعريض . لقد كان عقله ذا سلطان على نفسه . أما كيتز فقد كانت نفسه الرقيقة أعظم من عقله ، فتغلب عليه اليأس ، وأضناه ما سمعه من سباب . وهكذا يكون النقد سبباً للاحياء ويكون أيضاً سبيلا للموت .

هذا النقد الذي قضى على كيتز ، وكاد يقضي على «اندرسن» هو الذي دفع إلى الحد كوبه ، ولوئيس ، وكلودفارير ، وما تر لنك.

ولنعد إلى شاعرنا كيتز . لقد ثار على النقاد جميعاً ، ولا شيء يؤلم حقاً كقراءة هذه الرسالة التي كتبها شلّي بهذا الشأن إلى مدير مجلة « كوبرتلي روفيو» يخبره فيها « إن كيتز المسكين قد أُلجيء إلى حالة لا تطاق من جراء تعسف الناقد وسوء تأتيه . لقد سبب له مرضاً أحسب أن الأمل ضعيف في شفائه منه . ولقد كتبوا إلى أن أولى علامات المرض تحاكي الجنون ، وأنهم جهدوا كثيراً حتى استطاعوا أن يمنعوه من الانتحار . وإلى ذلك فإن آلامه النفسية سببت انفجار وريد دموي في الرئة . وبدت دلائل السل المعوي لديه » .

فأي نفس ، هذه النفس الرقيقة ؟

والنقّاد في بعض الأحيان لا يفهمون ولا يقدّرون ، وقد يسرفون بما لا يعرفون . ولكنهم ، على كل حال ، يكتبون وينقدون. ربما رفعوا قصيدة لبيت ، وربما خفضوا كتاباً لمقطع ... لقد اتهم النقادُ هاردي طول حياته بأنه كان متشائما . ولكنه لم يحفل بما قالوا ولم يحاول أن يدفع عنه ما نسبوه ولكنه ثار يوماً ، وقد بلغ الرابعة والثمانين من عمره ، عند ما نقده ناقد ، فكتب يقول:

وظن يوحنا بأنه قد تغلب على المسلمين بهذا الجواب . وقد ردّد تلميذه ثيودور أبو قرّه الذي عاصر الخلفاء العباسيين هذه النغمة في الفصول « الميامر بالارامية » التي ألفها في الرد على اليهود والمسلمين . وكأنك تقرأ في هذه الميامر النزاع الذي كان بين القدرية والجبرية أو بين المعتزلة والأشاعرة . تقرأ في الرسالة الأدلة والبراهين التي استعملها المعتزلة في خصامهم مع الأشاعرة والفرق الأخرى تماماً .

(البقية في العدد القادم)

مروان علي